جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

معالم التجديد والإصلاح عند ابن باديس من خلال تفسيره

(المعروف بـ: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)

إعداد الدكتور

خالد بن محمد صالح الشهراني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم القرآن وعلومه
بجامعة الملك خالد بأبها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، أما بعد:

إن القرآن الكريم منذ أن نزل على النبي الأمين محمد بن عبد الله – صلوات الله وسلامه عليه – كان وما يزال الحجّة الكبرى والمعجزة العظمى التي وقف العرب أمامها مبهورين لا يملكون جواباً، وما عساهم يفعلون..؟

لم يكن أمامهم إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلّهم يجدون مخرجاً، ولكنّ الحجّة أعيتهم، ووقفت ألسنتهم، واحتبست أصواتهم، وهم يستمعون إلى النبي (ﷺ) يبلغ الناس قوله تعالى: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}** (سورة البقرة: ٢٣)، فقد سهل لهم وسجل عليهم، فسهل الطلب بسورة واحدة، وسجل عليهم أنهم لن يفعلوا ذلك أبدا، ولن يستطيعوه، فأولى لهم صرف جهدهم وبذل وسعهم في عمل يستطيعونه ويطيقونه يستنقذون به أنفسهم من عذاب الله وغضبه.

نعم لقد جاء القرآن بشيء جديد ليس في طاقة العرب ولا مقدورهم، مع فصاحتهم العالية، فلقد كانت العادة عندهم جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة

عن العادة لها منزلة في الحسن، تفوق كل طريقة"[1].

وإذا كان القرآن بمثل هذه المكانة والخصائص فحريٌّ بطالبيه والباحثين فيه والمتخصصين فيه أن يبحروا ويغوصوا في ثناياه، ليجدوا ما لا يخطر لهم على بال من العلم والنور والهدى والشفاء والرحمة والتثبيت والبشرى.

إن من عجيب خصائصه، أنه هداية للبشرية في عصر نزوله، وفي عصورها المتلاحقة وفي عصرها الحديث وفي مابقي لها من العصور والأزمان، ومهما فسره المفسرون وبحث فيه الباحثون فلن تنقضي عجائبه ولن تنتهي هداياته، بل سيظهر فيه ومنه وبه من الهداية في كل زمان، بقدر ما يوليه أهل ذلك الزمان من النظر والفكر والتأمل والتدبر.

فلا عجب أن تجد في القرآن الحل للمشكلات الكبرى التي تعاني منها الأمة في عصرها الحالي، من الاستعمار والغزو الفكري وضعف واستضعاف المسلمين، كما وجدت الأمة الحلول فيه لكل مشكلاتها منذ أن نزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

وقد قيض الله للأمة في كل عصر من يجدد لها من العلوم ما تحتاجها وما يقوم به أمرها وفق أصولها وثوابتها، ويستلهم سبل الإصلاح ومثله وقيمه على ما يوافق القرآن والسنة وسلف الأمة، وفي مقدمة ذلك تفسير القرآن الكريم والانطلاق منه في التجديد والإصلاح، وممن شق هذا الطريق في التجديد والإصلاح، وكان له أثر كبير في هذا العصر العالم المجاهد المفسر عبدالحميد ابن باديس، والذي فسر القرآن كاملا في ربع قرن من الزمان، وكان ذلك خلال فترة حالكة من تاريخ الجزائر وهي تئن تحت وطئة الاحتلال الفرنسي.

---

(١) انظر: (النكت في إعجاز القرآن) لعيسى بن علي الرماني (م ٣٨٦ هـ).

ولقد قد طرح من خلال تفسيره للقرآن سبيل النهوض وإصلاح الفرد والمجتمع من خلال سلوكه في تفسيره للقرآن، بطريقة جمع فيها بين أصل هذا العلم _التفسير_ واستمداده من كتب المفسرين المتقدمين، وربطه بواقع الأمة عموما، والمسلمين في الجزائر خصوصا، ورسمه لخط إصلاح لحال الجزائر والأمة عموما من خلال إصلاح حال الفرد والمجتمع ومقاومة المحتل، واستمداد ذلك من خلال تفسيره للقرآن الكريم.

ولأهمية هذا الموضوع والحاجة المعاصرة إليه في ربط الأمة بكتاب ربها لتخرج من المعضلات التي تعيشها والكربات التي تحيط بها، ورغبة مني في الإسهام في هذا الموضوع المهم، كانت كتابتي وجمعي لورقات هذا البحث، وأسأل الله العون والتوفيق والهداية والسداد، في بحثي وجميع أمري.

وقد جعلته بعنوان:

معالم التجديد والإصلاح عند ابن باديس من خلال تفسيره

(المعروف بـ: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)

ويهدف هذا البحث إلى ما يلي:

أولًا: التعريف بابن باديس مفسرا وعلما من أعلام التفسير في العصر الحديث.

ثانيًا: إظهار مدى عناية ابن باديس بالتفسير واهتمامه به.

ثالثا: بيان الجوانب الأهم التي توصل إليها ابن باديس في التفسير.

رابعا: بيان تجديده لعدد من الجوانب واختطاطه للإصلاح من خلال التفسير وإحيائه للجانب العملي المنبثق من الجانب العلمي، وضرورة الجمع بينهما.

وتتكون خطة البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، ومدى الحاجة إليه.

المبحث الأول: تعريفات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن باديس.

المبحث الثاني: عناية ابن باديس بالتجديد والإصلاح من خلال التفسير.

المبحث الثالث: مجالات التجديد والاصلاح التي اعتنى بها في تفسيره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح الفرد.

المطلب الثاني: إصلاح المجتمع.

المطلب الثالث: مقاومة المحتل.

الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول

تعريفات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن باديس.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وهي كالتالي:

١. التجديد. ٢. الإصلاح.

١- التجديد:

أصله من كلمة جدَّدَ، والتجديد لغة: جعل الشيء جديداً، ومنه: جدد وضوءه، وجدد عهده: يعني أعاده وكرره والجديد نقيض الخَلِق [١].

وفي الاصطلاح: تنقية الدين مما علق به من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن النبوة والصحابة الكرام[٢].

٢- الإصلاح:

الإصلاح ضد الإفساد، وأصله من صلَحَ، والإصلاح في اللغة: إقامة الشيئ بعد فساده.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة (جدد) ٤٥٤/٢، والقاموس المحيط،للفيروز آبادي مادة (جدد) ٢٨١/١. وتاج العروس للزبيدي (٧/ ٤٨٦)،

(٢) انظر فيض القدير للمناوي ٢: ٣٧٥، و عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ١١: ٣٩١.

وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا،وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح[1].

أما الإصلاح اصطلاحا فقد ورد بعده معاني منها:

- ما يقابل الفساد: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾ الأعراف(٥٦:).
- و قد أشارت الكثير من النصوص إلى مفهوم الإصلاح بمعانيه المتعددة، وجعله القران جوهر رسالات السماوية، فوصف به شعيب (عليه السلام): ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨] يقول الإمام الرازي في تفسيره الكبير والمعنى:

ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي.

ثم يميز القران الكريم بين الإصلاح الحقيقي على الوجه السابق بيانه وادعاء الإصلاح **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)**

يقول القاشاني:

(كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش، وتيسير أسبابه،وتنظيم أمور الدنيا لتوغلهم في محبة الدنيا)[2].

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (١٨٨/١).

(٢) انظر: (محاسن التأويل للقاسمي، ٢٥٢/١).

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن باديس.

عبدالحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي، وُلِد الشيخ الجليل في مدينة "قسنطينة" في شرق الجزائر عام ١٣٠٨ للهجرة، (١٨٨٩ م) ، لأسرة ذات وجاهة وعلم، فحفظ القرآن الكريم، و تلقى العلم على يد علماء مدينته قسنطينة، ثم ارتحل إلى تونس عام ١٣١٧هـ، لاستكمال دراسته في جامعة الزيتونة. وهناك تلقّى العلم على يد ثلّة من المشايخ الفضلاء.

ثم شدّ الرحال إلى الحجاز في عام ١٣٣٠هـ لأداء فريضة الحج، وعرّج في رحلته تلك على مصر و التقى بالعديد من علمائها ورجالاتها، فكان لهذه الرحلات أثر كبير في صياغة شخصيته وعقله، فقد تعرّف على السلفية والسنة عن كثب، وعاين بنفسه نقاء هذه الدعوة وصفاءها.

من خلال التحصيل العلمي الطيّب الذي حازه الشيخ، والرحلات المفيدة التي قام بها إلى الحجاز ومصر وتونس، انقدح في ذهنه أن ما يجري في الجزائر كان بسبب عزوف أهلها عن النهج الأصيل المنبثق من مشكاة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، واستسلام غالبية الناس للخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، فأورث هذا الإنحراف في جسد الجزائر الداء العضال، الذي انتهى بوقوعها غنيمة باردة في يد فرنسا.

وعلى ضوء هذا الفهم يكون الإستعمار الفرنسي للجزائر نتيجةً حتمية لحالة الضعف و الإنحطاط الذي هو مكمن الداء، فكان لزاماً أن يشرع بعملية الإصلاح، والبناء من الأساس.

فعاد الشيخ ابن باديس إلى الجزائر، يحمل في ذهنه مشروعاً إصلاحياً طموحاً، ورأى أن هذا المشروع يتطلّب وسيلةً تحقّق له الإنتشار، و تضمن له

الوصول إلى كافة شرائح المجتمع، و في نفس الوقت لا تتعرّض إلى طائلة المستعمر الفرنسي و بطشه، فوجد أن من الوسائل المتاحة:

الصحافة، فاتّجه إليها، وشارك الشيخ في جريدة اسمها "النجاح" صدرت في عام ١١٣٨هـ، ساهم فيها تأسيساً و تحريراً، و كانت مقالاته تُمهر باسم مستعار هو "القسنطيني" أو "العبسي".

ولكنه رأى أن هذه الجريدة لم تكن على مستوى تطلّعاته و مشروعه الفكري الإصلاحي، فتركها ليؤسّس صحيفته الخاصة، وأنشأ جريدة اسمها "المنتقد"، غير أن السلطات الفرنسية أغلقتها بعد صدور ١٨ عدد منها، بسبب تبنّيها خطاً ثوريّاً يستفزّ المستعمر، ويثير حفيظته. فاستفاد الشيخ من هذا الدرس، و قام بإنشاء جريدة أخرى اسمها: "الشهاب" مستغلاً الخبرات التي حصل عليها هو وإخوانه في المجال التحريري و الفنّي في جريدة "المنتقد ". فصدر أوّل عدد منها في عام ١٩٢٦م، و استمرّت حتى أغلقتها السلطات الفرنسية بسبب بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م.

كان يرى في التعليم أمضى سلاح لمقاومة المعتدي و طرده من أرض الجزائر، لذلك اهتمّ به اهتماما عظيماً وأولاه كل عنايته ووقته ومَلَكاته، حتى وصفه الأستاذ أنور الجندي (رحمه الله) بقوله:

"و هو الذي ينشيء المدارس و المعاهد في طول البلاد وعرضها، ثم هو الذي يمضي يومه كاملاً في حلقة الدرس، يفتتح الدروس بعد صلاة الصبح حتى ساعة الزوال بعد الظهيرة، ومن بعد المغرب إلى صلاة العشاء، وإذا خرج من المعهد ذهب رأساً إلى إدارة جريدته "الشهاب" يكتب و يراسل "البصائر" ويجيب على الرسائل فيقضي موهناً من الليل، حتى إذا نودي لصلاة الصبح كان في الصف الأول" ا هـ[1]

(١) موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين لعلي الشحود (٦/ ١٣٥).

وتوفّي الشيخ عام ١٣٦٠هـ، ١٩٤١ م، بعد حياة حافلة بالعطاء والجهاد والدعوة مخلّفاً وراءه ذكراً عاطراً و ثناءً وافرً.

ولا نجد وصفاً لأثره الكبير في الجزائر المسلمة أدقّ من كلمات يسيرات قالها عنه المفكر الجزائري "مالك بن نبي" (رحمه الله):

"لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك، ويالها من يقظة جميلة مباركة".

رحم الله الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمة واسعة على ما قدّم للإسلام والمسلمين، و أعلى منزلته في عليّين، والله تعالى ولي التوفيق[1].

(١) انظر في ترجمته: آثار ابن باديس"، عمّار الطالبي ، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٦٦.

- وعبدالحميد بن باديس،العالم الرباني،و الزعيم السياسي" ، الدكتور: مازن مطبقاني ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
- و"عبدالحميد بن باديس، و بناء قاعدة الثورة الجزائرية"، بسّام العسلي، دار النفائس، بيروت، لطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- وجواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر (ص: ١٠) لمحمد بن محفوظ بن المختار فال الشنقيطي،
- وموسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين لعلي الشحود (٦/ ١٣٤).

المبحث الثاني
عناية ابن باديس بالتجديد في التفسير

مما سبقت الإشارة إليه في مقدمة البحث وفي ترجمة ابن باديس، ينكشف لنا شيئا من الواقع القاتم والظروف الحالكة التي كانت تمر بها الجزائر – مسقط رأس ابن باديس– من الاحتلال والاستعمار والإذلال، وسلب الهوية الإسلامية، وتركيز المستعمر الفرنسي على مسخ هوية الجزائر الإسلامية وقطعها عن أصولها العربية، ومحاولة فرض لغة المحتل وتعميم ثقافته والقضاء على اللغة العربية، ومما زاد الطين بلة والخير قلةً، الضعف الشديد للمسلمين وابتعادهم عن الإسلام بمفهومه الحقيقي، وفشو الجهل والبدع والخرافات والتصوف المنحرف، والتي مهدت في مجموعها إلى تسلط العدو، وخنوع أهل البلاد واستسلامهم، وكأن ما حل بهم قضاء لا يرد وقدر لا يرفع.

كل ذلك عَمِل عمله في نفس ابن باديس وأثَّر فيه تأثيرا بالغا، فقد استشعر الخطر الواقع ببلده وأهله، وبدأ يتلمس ويبحث في طريق الخلاص، وقد رأى أن الخطر يكمن في أمرين:

١– الخطر الخارجي، والمتمثل في المحتل الصليبي الفرنسي وفرضه لثقافته بالقوة، وسلخ هوية المجتمع من خلال أساليب شتى.

٢– الخطر الداخلي، من المسلمين أنفسهم في بعدهم عن الدين الحق وما وقع من الجهل والفهم الخاطئ للإسلام، وما وقعوا فيه من البدع والخرافات.

ولكي يرتفع البلاء عن بلده وأهله، رأى أنه لابد من الإصلاح من الأساس والقواعد، وإعادة الأمة إلى الجادة وهي ما كان عليه السلف الأول من سلف الأمة، فقد بلغ الانحراف مبلغه، ووصل تسلط المحتل مداه.

كان الأمر واضحا لديه أن طريق الإصلاح وإعادة الأمة إلى الجادة بعودتها إلى ربها عن طريق الفهم الصحيح والتطبيق العملي لكتاب ربها وسنة نبيه (ﷺ)، **فجعل أساس الإصلاح هو التعليم ورفع الجهل وتصحيح المفاهيم، وجعل أساس ذلك تعلم القرآن وتعليمه والعمل به، فبدأ بتفسير القرآن الكريم تفسيرا ينطلق فيه من أصوله وكتبه ومراجعه الأصيلة، لكنه يسلك فيه مسلكا جديدا ويختط فيه خطا تحتاجه الأمة لتنطلق في الخروج من كربتها من خلال العودة إلى كتاب ربها، وأنه لا خلاص لها من وطئة المحتل إلا من خلال الفهم الصحيح للقرآن والعمل بما فيه وتعليمه.**

ومن هنا كان مسار التجديد والإصلاح عند ابن باديس واضحا في تفسيره، فقد ركز فيه على إصلاح الفرد أولا، وبنائه بناءا متكاملا، وإصلاح المجتمع كذلك، واللذان سيكونان سبيل الخلاص من المحتل الأجنبي.

يقول ابن باديس في تفسيره (رحمه الله):

(عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر من يدعوك بالقرآن إلى القرآن – ومثله ما صح من السنة، لأنها تفسيره وبيانه – فاتبعه؛ لأنه هو المتبع للنبي (ﷺ) في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن[1].

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٩).

المبحث الثالث

مجالات التجديد التي اعتنى بها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح الفرد.

المطلب الثاني: إصلاح المجتمع.

المطلب الثالث: مقاومة المحتل.

المطلب الأول: إصلاح الفرد.

رأى ابن باديس أن المنطلق لإصلاح المجتمع، ينطلق في الأساس من إصلاح الفرد، فالمجتمع إنما هو عبارة عن مجموع هؤلاء الأفراد، ولذا ركّز كثيرا في تفسيره–مما وصل إلينا– على بناء الفرد وصلاحه من خلال جوانب عديدة منها:

أولا: تأكيده المتكرر على إصلاح النية وأنها الأساس الذي تقوم عليه أعمال العبد.

فقد بيّن في تفسير قوله تعالى:

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء:١٨ و١٩]، بعد أن أطال في الكلام على النية ومراتبها ومتى يحصل العامل على الأجر وفق نيته، يقول: (وبهذه السبيل يستطيع العبد الموفق أن تكون حركاته وسكناته كلها لله وفي طاعته، دائم الذكر له يعبده كأنه يراه، لأن من كان يعبد كأنه يرى مولاه، لا

يمكن أن يغفل عنه قلبه ويشغل بسواه، حتى إذا اشتغل بشيء كان بإذنه ورضاه فلم يخرج في أي عن حضرة قدس الله[1].

ثانيا: تقوية الجانب النفسي لدى الفرد، وفك الارتباط بين الرياء وطلب الدنيا، وبين قصد الثواب على العمل.

يقول (رحمه الله):

(إن قصد الثواب والجزاء على العمل لا ينافي الإخلاص فيه لله؛ لأن الإخلاص هو أن تجعل عبادتك لله وحده، ورجاؤك الثواب وطمعك فيه، وحذرك العقاب وخوفك منه، هما مقامان عظيمان لك في جملة عبادتك، يجب عليك أن تكون فيهما أيضاً مخلصاً، لا ترجو إلاّ ثوابه، ولا تخاف إلاّ عقابه. وإذا أخلصت في رجائك وخوفك هانت عليك نفسك فقمت في طاعته مجاهداً لا يردك معارض، ولا تأخذك في الله لومة لائم. وصغرت في نظرك العوالم كلها فنطقت بقولك: "الله أكبر" نطق عالم واجد مشاهد)[2].

ثالثا: تأكيده على أهمية أخذ العبد بالأسباب وإلا فلن ينجح ولن يفلح.

وهو ينقض بهذا مفهوم التصوف المنحرف في التوكل وأنه ترك الأخذ بالأسباب- وأن السبب فيما نراه من نجاح أعدائنا وفشلنا يعود إلى تركنا للأخذ بالأسباب التي أمرنا الله بها، مع أخذ أعدائنا بالأسباب المادية، يقول (رحمه الله) أثناء تفسيره لقوله تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)}** [الإسراء: ١٨، ١٩] وقد أفادت هذه الآيات كلها، أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه

(١) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ص: ٥٥.

(٢) المصدر السابق ص: ٥٢.

الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة- بإذن الله تعالى- من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين، ومن مقتضى هذا:

أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم.

نعم لا يضيع على المؤمن أجر إيمانه، ولكن جزاءه عليه في غير هاته الدار، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فنال جزاءه في دار الأسباب وليس له في الآخرة إلاّ النار(١).

ويقول في موضع آخر:

(وقد أفادت الآية- حسبما تقدم- أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء، وأن من تمسك بسبب بلغ- بإذن الله- إلى مسببه، سواء أكان براً أو فاجراً، مؤمناً أو كافراً.

وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم، وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط، ولن يعود إليهم ما كان لهم إلاّ إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب.

---

(١) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ص: ٥٠.

فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب. ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان- مثل سالف أيامه- سيد الأنام)[1].

المطلب الثاني: إصلاح المجتمع.

سبقت الإشارة في المطلب الذي قبله بأن تركيز ابن باديس على إصلاح الفرد بربطه بالمنهج الحق، من خلال الفهم الصحيح لكتاب الله، هو اللبنة الأولى في إصلاح الفرد الذي يفضي إلى إصلاح المجتمع، ومع تركيزه في تفسيره وتأكيده على ذلك، فإنه يؤكد باستمرار على أن صلاح الفرد لا يكفي، بل لابد من إصلاح الفرد والمجتمع، ومن مظاهر ومعالم تجديده وتأكيده على هذا الجانب في تفسيره، ما يلي:

أولا: اهتمامه بالمرأة كركيزة في إصلاح المجتمع.

ففقد كان يركز على أهمية بناء المرأة الجزائرية المسلمة، بتعليمها وأولاه اهتماماً خاصّاً ؛ لأنه يرى أن دور المرأة المتعلمة المتديّنة مهم جدا في تنشئة جيل مجاهد يحمل تبعات العقيدة، و يضحّي في سبيلها، و كان يرى أيضاً أن جهل الأم من أهمّ أسباب الهزيمة التي حاقت بمجتمعاتنا الإسلامية، حيث يقول: " إن البيت هو المدرسة الأولى، والمصنع الأصلي لتكوين الرجال، و تديّن الأم هو أساس حفظ الدين و الخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت و قلة تدينهن "[2].

---

(١) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ص: ٥٩.

(٢) آثار ابن باديس (٤/ ٢٠٢).

وقال أيضا، في تفسيره لقوله تعالى:

{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)} [النمل: ٢٣]،

مبينا الدور الحقيقي للمرأة في بناء المجتمع، وخطورة تخليها عن هذه المهمة العظيمة، أو إشغالها عنها، ولو كان بحصولها على الولاية العامة، فإن هذا خلاف الفطرة والشرع والبناء السوي الصحيح للمجتمع المسلم: (ولا تصلح المرأة للولاية من ناحية خلقتها النفسية، فقد أعطيت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية.وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها سواها وهي القيام على مملكة البيت، وتدبير شؤونه، وحفظ النسل، بالاعتناء بالحمل والولادة وتربية الأولاد)[1].

ثانيا:لا يمكن أن يصلح المجتمع ما لم يتحقق فيه وبين أفراده مبدأ العدل والإحسان.

يقول في تقرير هذا المبدأ:

(كان أساس شرعه – أي النبي (ﷺ)– على العدل والإحسان: العدل مع كل أحد، والإحسان إلى كل شيء، فقال تعالى: **{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا}** [المائدة: ٨]. أي لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فيهم– وقال صلى الله عليهم وآله وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[2].

---

(١) تفسير ابن باديس ص: ٢٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الديات باب ١٤، والنسائي في الضحايا باب ٢٢ و٢٧.

ولما كان هو (عليه السلام) قدوتنا، فنحن مخاطبون بأن نكون مثله في عموم رحمته وشفقته وعدله وبره وإحسانه)[1].

ثالثا: ربطه للجانب النظري العلمي في التفسير بالجانب العملي، في نهاية تفسيره لكثير من الآيات.

يقول في بيانه لمعنى التفسير ومفهومه:

(كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة لجميع البشر، يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها)[2].

والأمثلة على هذا كثيرة لا تخطئها عين القارئ لتفسيره، فحين ينتهي في كثير من المواضع من تفسير الآية يقول والجانب العملي في الآية: ثم يشرع في الربط بين معناها وتفسيره وبين مايتطلب ذلك من العمل بها والقيام بمقتضاها، ومثال ذلك قوله بعد تفسيره لقول الله تعالى:

{وَمَنْ أرادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِن فأولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً}:

(الجانب العملي في الآية:

إن المسلمين كلهم- والحمد لله- أهل إيمان، فليستشعروه عند جميع الأعمال، ولا يخلون من عمل لمعاشهم أو لمعادهم، فليقصدوا بذلك كله وجه الله وامتثال أمره وحسن جزائه.

وليقتصروا في عبادتهم على ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ليكونوا على يقين من موافقة رضى الله، وسلوك طريق النجاة. فإذا فعلوا هذا وصمدوا إليه وجاهدوا أنفسهم في حملها عليه- كانوا شاكرين

---

(١) تفسير ابن باديس ص: ٥٨.

(٢) المصدر السابق ص: ١٧.

مشكورين على تفاوتهم في منازل العاملين عند رب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) [1].

رابعا: التوازن في الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه، وقيام كل فرد في المجتمع بواجبه تجاه الآخرين.

يقول في مقدمة تفسيره لعدد من الآيات في سورة الإسراء: (الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم. وما من أحد إلاّ وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه، ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه. وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس.

وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله. وبالآخرة هي خدمة له هو في نفسه لأنه جزء من المجتمع وما يصيب الكل يعود على جزئه.

فإذا تواردت أفراد المجتمع على هذه التأدية سعدت وسعد مجتمعنا بنيله حاجيات الحياة ولوازم البقاء والتقدم في العمران، أما إذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها إلى بعضهم فإن الحاجة المشتركة من العلم والثقافة وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة- تتعطل، وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والتقهقر، وينحط بأفراده إلى أسفل الدركات، فلهذا بعد ما أمر الله تعالى بإيتاء حقه- وهو توحيده في عبادته- أمر بإيتاء حقوق العباد، القريب منهم والبعيد)[2].

---

(١) تفسير ابن باديس ص: ٥٦.

(٢) المصدر السابق ص: ٧٩.

خامسا: من القواعد المهمة في إصلاح المجتمع، ضرورة إصلاح الأخلاق والسلوك والعناية بهما.

فقد جاء القرآن مهذبا للسلوك كي يستقيم المجتمع، يقول (رحمه الله) أثناء تفسيره لقوله تعالى:

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(٨٢)}[الإسراء:٨٢]: (وجاء – القرآن –أيضاً مبيناً للأخلاق الفاسدة، وذاكراً سوء أثرها وقبح مغبتها، مبيناً كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها، وحسن عاقبتها.

فهذا شفاؤه للنفوس والعقول، وهو راجع إلى تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق وبهما سلامة الأرواح وكمالها وعليهما قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها.

على أن القرآن هو شفاء للاجتماع البشري، كما هو شفاء لأفراده:

فقد شرع من أصول العدل، وقواعد العمران، ونظم التعامل، وسياسة الناس، ما فيه العلاج الكافي، والدواء الشافي للمجتمع الإنساني من جميع أمراضه وعلله)[1].

سادسا: أساس صلاح المجتمع هو صلاح الأخلاق والعقائد، و صلاحهما يكون باتباع القرآن وهديه فهو الهدى والشفاء، يقول (رحمه الله):

(شفاء العقائد والأخلاق أساس الأعمال والمجتمع.

هذه الأمراض لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها، وبيان ما هو شفاء لها. ولا شفاء لها إلاّ بالقرآن، والبيان النبوي راجع إلى القرآن.

(١) تفسير ابن باديس ص: ١٤٤.

ومن طلب شفاءها في غير القرآن فإنه لا يزيدها إلاّ مرضا. فهذه الأمم الغربية بسجونها، ومشانقها، ومحاكمها، وقوتها، قد امتلأت بالجنايات والفظائع المنكرة التي تقشعر منها الأبدان.

وهذه الممالك الإسلامية التي تقيم الحدود القرآنية كالمملكة الحجازية، والمملكة اليمانية، قد ضرب الأمن رواقه عليهما، واستقرت السكينة فيهما دون سجون ولا مشانق، مثل أولئك؛ وما ذلك إلاّ لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام)[1].

ويقول أيضا في تفسيره لقوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) } [الأعراف: ٩٦، ٩٧]:

فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب. ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلاّ إذا قمنا متعاونين أفراداً وجماعات، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه، وبدأ به في نفسه، ثم فيمن يليه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه، ثم جميع أهل ملته. فمن جعل هذا من همه، وأعطاه ما قدر عليه من سعيه، كان خليقاً أن يصل إلى غايته أو يقرب منها.

ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك، وأخلاقنا من الفساد، وأعمالنا من المخالفات. ولنستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا كجسد واحد ولنشرع في ذلك، غير محتقرين لأنفسنا، ولا قانطين من رحمة ربنا؛ ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا، فبدوام السعي واستمراره، يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله) [2].

---

(١) تفسير ابن باديس ص: ١٤٥.

(٢) المصدر السابق ص: ١٢٦.

سابعا وأخيرا: يقرر ابن باديس (رحمه الله) في تفسيره، أنه لا قوام للمجتمع ولا صلاح لأمره، إلا بوجود الهيئة الحاكمة والأفراد المنظمون والقادة المسيرون له، والنظام الذي يسيرون عليه.

يقول (رحمه الله) في حديثه وتفسيره لقصة سليمان في سورة النمل حول قوله تعالى: {**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)**} [النمل: ١٨]:

(منهم الذين يتولون حكمه وتنظيمه في أممه ومجتمعاته وجماعاته؛ فالهيئة الحاكمة والأفراد المنظمون والقادة المسيرون من ضروريات المجتمع الإنساني ومقررات الشرع الإسلامي، مثل ما في هذه الآية من أمر الوازعين)[1].

ويقول في بيان أهمية النظام للإصلاح وضبط المجتمع في تفسيره لقوله تعالى: {**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)**} [النمل: ١٧]:

وكان النظام محكماً لضبط تلك الكثرة ومنعها من الاضطراب والاختلال والفوضى.

تعرض علينا الآية هذه الصورة التاريخية والواقعية تعليما لنا، وتربية على الجندية المضبوطة المنظمة.

ولا شك أن الخلفاء الأولين قد عملوا على ذلك في تنظيم جيوشهم، إنَّ مثل هذه الآية كان له الأثر البليغ السريع في نفوس العرب لما أسلموا. فسرعان ما تحولوا إلى جنود منظمة مما لم يكن معروفا عندهم في الجاهلية.

وبقيت الآية على الدهر مذكرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا تغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه، وأولئك هم الوازعون)[2].

---

(١) تفسير ابن باديس ص: ٢٦١.

(٢) المصدر السابق ص: ٢٦٠.

المطلب الثالث: مقاومة المحتل.

كان الشيخ ابن باديس (رحمه الله)، يرى بما وهبه الله من بصيرة واقع الجزائر خاصة والأمة عامة، ويرى مصابها وأسبابه، ويرى سبيل النهوض من هذا المصاب، وأن البلاء الجاثم على بلاده بسبب المحتل الفرنسي والاستعمار الصليبي عموما، ما كان ليعمل عمله في بلاد المسلمين وهي متماسكة ببعضها، متمسكة بدينها، ولذلك كان يرى أن مقاومة المحتل وهزيمته لابد لها من أسباب أمرنا الله بها وقد اخل بها المسلمون، فكان له منهجا فريدا في مقاومة المحتل، لم يبدأه بالقوة العسكرية كما كان متوقعا من أي رمز مقاوم للاحتلال، ولكنه رأى أن البلاء والاحتلال قد بلغ مبلغا عظيما لا يمكن التغلب عليه بسهوله أو بالمواجهة المباشرة، مالم يسبق ذلك بإصلاح كثير مما اندرس من معالم الدين، فرسم خطا إصلاحيا ينتهي به المطاف إلى مقاومة مكافئة للمحتل،بل طاردة له ومتغلبة عليه، وقد كان منهجه في مقاومة المحتل مبني على قاعدتين اثنتين:

١- تأصيله للأسباب الحقيقية التي وصل بها المسلمون إلى هذا الحال من الضعف والهزيمة والتخلف، وتسلط الأعداء من الخارج، وأن أساس ذلك كله هو البعد عن شريعة الله وإقصائها من الحياة وواقع الناس والمجتمعات، والانحراف عن الفهم الصحيح للإسلام والبعد عن تطبيق القرآن، والذنوب والمعاصي، يقول (رحمه الله):

({وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩].

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً} [الأنبياء: ١١].

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [الطلاق: ٨].

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[النحل:١١٢]، **فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم، والفساد، والعتو، والتمرد، عن أمر الله ورسله، والكفر بأنعم الله. {**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦].... الطور الأخير للأمم هو الذي ذكر في الآيات كثيراً دون الطور الأول والثاني، ووجه ذلك، أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد، ويعظم فيه الظلم، وينتهي فيه الإعذار للأمة، ويحل فيه أجلها، فينزل بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب، فكرر ذكر هذا الطور لزيادة التحذير منه، والتخويف من سوء عاقبته، والحث على تدارك الأمر فيه بالإقلاع عن الظلم والفساد، والرجوع إلى طاعة الله وإعمال يد الإصلاح في جميع الشئون **فيرتفع العذاب بزوال ما كان بنزوله من أسباب)**[1].

٢- تأصيله للطريق الموصل إلى نهوض الأمة وعودتها إلى مجدها وعزها التي عاشته قرونا طويلة، ورسمه للطريق العملي للخروج من الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة في عصره، ودفع البلاء المستحكم على بلده.

ففي هذا الجانب اختصر الطريق كله في أن ذلك قائم على **الصلاح في النفس والإصلاح منها للغير، وبهذا يتغير الجانب السلبي لدى الأفراد فتصلح أحوالهم، وينطلق هذا الصلاح إلى المرحلة الأهم، وهي الإصلاح للغير فيصلح المجتمع، وعندها فقط لن تقوم للمحتل قائمة، يقول (رحمه الله) في التأكيد على هذين المعنيين الصلاح والإصلاح:**

(١) تفسير ابن باديس ص: ١٢٥.

(الصالحون في قوله تعالى: {**إن تكونوا صالحين**}، هم الذين صلحت أنفسهم فصلحت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. وصلاح النفس وهو صفة لها.. خفي كخفائها؟.

وكما أننا نستدل على وجود النفس وارتباطها بالبدن بظهور أعمالها في البدن، كذلك نستدل على اتصافها بالصلاح وضده بما نشاهده من أعمالها، فمن شاهدنا منه الأعمال الصالحة- وهي الجارية على سنن الشرع، وآثار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- حكمنا بصلاح نفسه، وأنه من الصالحين، ومن شاهدنا منه خلاف ذلك حكمنا بفساد نفسه، وأنه ليس منهم، ولا طريق لنا في معرفة صلاح النفوس وفسادها إلاّ هذا الطريق. وقد دلنا الله تعالى عليه في قوله تعالى:

{**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)**}[آل عمران: ١١٣ و١١٤]. فذكر الأعمال، ثم حكم لأهلها بأنهم من الصالحين. **فأفادنا:** أن الأعمال هي دلائل الصلاح، وأن الصلاح لا يكون إلاّ بها، ولا يستحقه إلاّ أهلها. ثم إن العباد يتفاوتون في درجات الصلاح على حسب تفاوتهم في الأعمال. ويكون لنا أن نقضي بتفاوتهم في الظاهر بحسب ما نشاهد.

ولكن ليس لنا أن نقضي بين أهل الأعمال الصالحة في تفاوتهم عند الله في الباطن؟ فندعي أن هذا أعلى درجة في صلاحه عند الله تعالى من هذا، لأن الأعمال قسمان:

أعمال الجوارح، وأعمال القلوب، وهذه أصل لأعمال الجوارح.. فمنازل الصالحين عند ربهم لا يعلمها إلاّ الله، (والأوابون) في قوله تعالى:

{فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}. هم الكثيرو الرجوع إلى الله تعالى... وجاء لفظ "الأوابين" جمعاً لأواب، وهو فعّال من أمثلة المبالغة، فدل على كثرة رجوعهم إلى الله.

وأفاد هذا طريقة إصلاح النفوس بدوام علاجها بالرجوع إلى الله:

ذلك أن النفوس- بما ركب فيها من شهوة، وبما فطرت عليه من غفلة، وبما عرضت له من شؤون الحياة، وبما سلط عليها من قرناء السوء من شياطين الإنس والجن، لا تزال- إلاّ من عصم الله- في مقارفة ذنب، ومواقعة معصية صغيرة أو كبيرة، من حيث تدري ومن حيث لا تدري. وكل ذلك فساد يطرأ عليها، فيجب إصلاحها بإزالة نقصه، وإبعاد ضرره عنها. وهذا الإصلاح لا يكون إلاّ بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولما كان طروء الفساد متكرراً فالإصلاح بما ذكر يكون دائماً متكرراً، والمداومة على المبادرة إلى إصلاح النفس من فسادها، والقيام في ذلك، والجد فيه، والتصميم عليه، هو من جهاد النفس الذي هو أعظم الجهاد...

وقد اشتملت الآية من فعل الشرط، وهو {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ}، وجواب الشرط، وهو {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} - على الحالتين اللازمتين للإنسان لتكميل نفسه، وهما:

الصلاح المستفاد من الأول، والإصلاح بالأوبة المستفاد من الثاني.

وما دام الإنسان مجاهداً في تزكية نفسه بهذين الأصلين فإنه بالغ أملًا ورجاءً- بإذن الله- درجة الكمال.

ثبتنا الله والمسلمين عليهما، وحشرنا في زمرة الكاملين المكملين إنه المولى الغفور الكريم)[1].

(١) تفسير ابن باديس ص: ٧٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي منّ بفضله بإكمال هذا البحث، وأسأل الله أن ينفع به قارئه وكاتبه، وبعد الانتهاء من كتابة أسطر البحث، فقد تبيَّن لي ما يلي:

١. القوة العلمية لابن باديس (رحمه الله) في التفسير.
٢. قدرته على الربط بين الجانب العلمي النظري والجانب العملي التطبيقي، فكثيرا ما يشير للجانب العملي في الآية.
٣. أهمية الفهم والتدبر، والعيش مع القرآن وتعلمه وتعليمه، ففيه الحل الناجع لمشكلات الفرد والمجتمع، والأمة قاطبة.
٤. أهمية وزن طريق الإصلاح على الكتاب والسنة وجعلهما المنطلق لذلك، ففيهما الغنية والكفاية، إذا كان فهمها صحيحا سليما.
٥. خطورة التواكل وترك الأخذ بالأسباب، فذلك هم الممهد الرئيس والبيئة الخصبة التي ينفذ منها الاستعمار والغزو الفكري بأشكاله ووسائله المختلفة.

وفي الختام، أوصي نفسي والباحثين بأهمية الوقوف على تفسير ابن باديس وإعادة دراسته وتحليله فرغم اختصاره، إلا أن فيه كنوزا عظيمة، تحتاج إلى استخراج وبحث، للإفادة منها.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. **آثار ابن باديس**، عمّار الطالبي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.

٢. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٣. **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٤. **النكت في إعجاز القرآن**، لعيسى بن علي الرماني.

٥. **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.

٧. **تفسير ابن باديس** ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)). لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. تعليق: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

٨. **جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر**، لمحمد بن محفوظ بن المختار فال الشنقيطي
٩. **عبدالحميد بن باديس**، العالم الرباني، والزعيم السياسي، الدكتور: مازن مطبقاني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
١٠. **عبدالحميد بن باديس، وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، بسّام العسلي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١١. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
١٢. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
١٣. **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
١٤. **موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين**، لعلي بن نايف الشحود.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة، والتمهيد	٣
المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات والمؤلف	٧
المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات:(التجديد- الإصلاح)	٧
المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن باديس.	٩
المبحث الثاني: عناية ابن باديس بالتجديد	١٢
المبحث الثالث: مجالات التجديد التي اعتنى بها في تفسيره	١٤
المطلب الأول: إصلاح الفرد	١٤
المطلب الثاني: إصلاح المجتمع	١٧
المطلب الثالث: مقاومة المحتل	٢٤
الخاتمة وأهم النتائج	٢٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٩
فهرس الموضوعات	٣١